

# من تراثنا

## ابن خلدون

يشعر المتتبع لتاريخ وسط الجزيرة العربية عامة ، ونجد خاصة أن هناك فجوة واسعة \* \* وحلقة مفقودة فيما بين القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر الهجري ، إذا استثنينا مكة والمدينة ، حيث العرمان الشريهان ، وكوتهما ماوى الأئمة ومحط الأنظار \*

ففي القرن الخامس وما قبله كانت هناك ومضات تاريخية توجد متناثرة في كتب التاريخ ، وقد تأتي عرضاً في سرد الأحداث التاريخية \*

ذلك أن نجداً مع ما فيها من أحداث تاريخية هامة ، ثم تحفظ بمؤرخين يرصدون تلك الأحداث ويعتنون بتدوينها ، لأن جيل المؤرخين يبحثون عن الوقائع المهمة في حياة الحكام والساسة من جهة ، ومن أخرى لموطن هؤلاء الذين دونوا الأحداث التاريخية كان مقر الحكام ، وموطن التجمع العلمي في العواضر الإسلامية في دمشق ، وبغداد ، ومصر ، والأندلس ، والقيروان \*

لم يكن في نجد من الأحداث المهمة في نظرهم ما يستوجب الأفراد بحديث مستقل ، إذ لا تعدد تلك الأحداث أن تكون خيراً جانبياً من تولية وال ، أو مشاركة بعض الأفراد من القبائل في الجيوش الإسلامية \* \* أو انتقال قبيلة من مكان لآخر \*

ولذا كانت نجد حقل يده ضعف الدولة العباسية تارة تنفرد بوال في اليمامة ومجر ، وأخرى ترتبط بوالي المدينة أو مكة ، أو يهيمن عليها والي البصرة \*

# تورخ و تاريخ

بقلم الدكتور : محمد بن سعد الشويعر

وليمدها عن قاعدة الخلافة العباسية ، ضعفت الهيمنة العباسية عليها نتيجة للتفتك الذي دب في دولة الاسلام الممتدة في الخلافة العباسية ، ونشأ تبعاً لذلك دويلات متعددة ، مثلما نشأ في اطراف الدولة العباسية في مصر ، والمغرب ، وخراسان وغيرها . وان اقوى الدويلات التي نشأت في نجد :

١ - دولة الأخيضر بين عام ٢٥٣ هـ وعام ٣١٧ هـ .

٢ - دولة القرامطة التي خلفت الأخيضر بين عام ٣١٧ هـ الى عام ٤٧٠ هـ .

ولعل نهاية القرن الخامس الهجري آخر ما يستطيع الباحث أن يجد فيه ذكراً لنجد تاريخياً وأحداثاً . حتى القرن الثاني عشر عندما ظهر حدث عظيم في تاريخ نجد خاصة ، والجزيرة العربية عامة ، ولا نستطيع أن نقول بأن هذه النجوة بين هذين التاريخين عديمة الأحداث ، ذلك أن الباحث لن ييأس أو يفقد الأمل في العثور على شذرات تضيء المعالم عن أشياء كنا نعتقد في حكم المفقود ، ونمثل هذه الأشياء في وثائق عقارية أو تاريخية أو رحلات أو معلومات عابرة كما جاء في سوانح ابن بشر ، وأحداث ابن عيسى ورحلة ناصر خسرو مثلاً .

ذلك الحدث العظيم هو ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يدعوه الإصلاحية الجديدة ، وموازاة الامام محمد بن سعود لها ، حتى استقامت دولة ذات كيان ، فأصبحت هذه الديار محط الأنظار . ومازى الأفئدة ، واستطاعت اهتمام

المسلم ، لأن هذه الدعوة الإصلاحية لم تكن حدثاً داخلياً يقتصر على أبناء الجزيرة وحدهم ، ولكنه كان انطلاقاً فكرياً شد الألبان ، وجذب الأفئدة ، واشترأت إليه الاعتراف في العالم الإسلامي بأسره .

### ابن غنام ( ١٢٢٥ هـ ) ( ١٨١١ - ١٢٢٥ م ) وتاريخه :

ومؤرخنا في هذه الزاوية حسين بن أبي بكر بن غنام ، يرجع نسبه إلى قبيلة تميم من أكبر القبائل وأوسعها انتشاراً في وسط الجزيرة ، من سكان المبرز بالأحساء وفيها ولد وتعلم ، حيث أخذ العلم فيها عن مشايخ سن أهلها لم نجد أحداً ذكر أسماءهم .

لم يحدد الباحثون عن حياة ابن غنام السنة التي ولد فيها ، لأن عادة أبناء جيله عدم الاهتمام بتدوين السنة التي يولد فيها أي شخص ، وكلما أتيتوه هو تاريخ وفاته عام ١٢٢٥ هـ وفي شهر ذي الحجة بالذات ، هذا التاريخ الذي لم يختلف فيه أحد ، ذلك ابن بشر أوضح هذا التاريخ في أحداث عام ١٢٢٥ هـ عندما قال : « وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة توفي الشيخ العلامة والعبير الفهامة حسين بن غنام الأحسائي » ( عنوان المجلد ١ : ١٤٤ ) .

نشأ ابن غنام في الأحساء في بيت علم وقد عرف من أسرته عدة علماء كما قال ابن عبد القادر في تحفة المستفيد ( ٢ : ١٠٤ ) فهو أحسائي النشأة والولادة .

واستقر به المقام بالدرعية عندما توجه إليها في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد ( ١١٣٧ - ١٢١٨ هـ ) ( ١٧٢٠ - ١٨٠٣ م ) في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ( ١١١٥ - ١٢٠٦ هـ ) ( ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م ) رحبها الله ، كما قال بذلك عبد الرحمن بن عبد اللطيف في كتابه : « من مشاهير علماء نجد وغيرهم » ص ١٨٥ ، فهو نجدي الاستقرار والشهرة . ولكن ابن عبد القادر يقول في تحفة المستفيد ( ٢ : ١٠٤ ) بأن ابن غنام ( ١١٢٥ - ١٢٢٥ هـ ، ١٨١١ - ١٢٢٥ م ) قد نقله الإمام سعود بن عبد العزيز ( ١١٦٣ - ١٢٢٩ هـ ، ١٧٥٠ - ١٨١٤ م ) إلى الدرعية في وقت نهضتها .

وفي نظري أن الرأي الأول أقرب للصواب ، لأن ابن غنام عندما ألف تاريخه كان يريد قصره على حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، كما يتراءى من عنوانه ( روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ) .

هذا بالنسبة للمنوان أما بالنسبة للمحتوى فهو يدور في : حال الجزيرة والاحياء وتجد قبل ظهور الامام رحمه الله بدعوته الإصلاحية ، ثم يسير متتبعا لهذه الحركة ، ويطلق في الغاتمة التي هي عن وفاة الشيخ وأثرها النفسي والشعوري ( ١ : ٥٠ - ٦٠ ) ، كما كرر غير وفاته في أحداث عام ١٢٠٦ هـ ( ٢ : ١٥٤ ) .

وما القصائد التي أوردتها في رثائه الا تعبير عن شعور المؤلف تجاه هذا المصلح الكبير ودوره العقائدي في نقل سكان الجزيرة خاصة من حياة اللظمة والضلال ، والعزلة والانطواء ، الى حياة التفتح والنور ، ومعرفة الدين الاسلامي واعتناقه عن بصيرة وفهم ، كما يتجلى ذلك في ايقاظ الشعور الاسلامي لدى المسلمين عامة .

فارتباط ابن خنم تاريخيا وشعوريا بالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله جعلني أرجح الرأي الاول : ذلك ان ابن خنم لا بد وان يكون لازم الشيخ في حياته في الدرعية ، وهذه الملازمة لا تتأني وابن خنم لم يقدم الدرعية الا بعد ولاية الامام سعود بن عبد العزيز .

ومعروف بأن سعودا لم يتسلم الامر الا بعد قتل والده في عام ١٢١٨ هـ . وفي هذا التاريخ يكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد فارق الحياة الى الدار الآخرة بعدة مقدارها اثنا عشر عاما . ولعل سؤالا يتبادر للذهن : ألا يمكن أن يكون الامام سعود قد استقدم ابن خنم في حياة والده ؟

وهذا محتمل الا أن عبارة ابن عبد القادر « الامام سعود » تبعد هذا الاحتمال ، لأن المفهوم منها اعتلاء السلطة ... فلو قال : « استقدمه الأمير سعود - أو عندما كان أميراً » لانسجم مع القول وفي هذه الحالة لا تحتاج الى ترجيح .

وبالتالي فائنا لا نستطيع تحديد السنة التي قدم فيها الى الدرعية ، الا أن الحركة العلمية المزدهرة فيها ، والشعور الديني العميق كانا خلف نزوحه من بلدته الذي ولد فيه وتعلم ، الى موطن جديد يجذب ذوي المواهب ومنهم ابن خنم .

والشيخ حمد الجاسر ( مجلة العرب ج ٩ مجلد ٥ ) يحيل مسج ابن عبد النازر في ترجيحه أن ابن خنم لم يقدم الدرعية الا بعد ولاية سعود بن عبد العزيز بن محمد عام ١٢١٨ هـ .

وبالتالي فائني أميل الى أن انتقاله الى الدرعية في حدود عام ١٢٠٠ هـ للأسباب التالية :

١ - ان عهد الامام عبد العزيز بن محمد الذي بدأ بوفاته والده محمد رحمهما الله عام ١١٧٩ هـ كان عهد تسميم وبنام وتوسع في نشر الدعوة ، ولم يبدأ الاستقرار العلمي الا في حدود عام ١٢٠٠ هـ ، وان كانت جذوره قد بدأت مع قيام دعوة الإصلاح التي بدأها الامامان محمد بن سعود ، ومحمد ابن عبد الوهاب رحمهما الله .

٢ - ان سعودا في حدود هذا التاريخ قد اشتد عوده ، وكسان عضد والده ، وقائد القوات ، ولا يستبعد مع ذلك ان يكون هو الذي استقدم ابن غنام عندما كان اميرا ، ذلك ان الأسرة السعودية قد عرفت منذ نشأت الدولة السعودية بحب العلم ، واستقدام العلماء واحترامهم واكرامهم .

٣ - ان هذا التاريخ يتيح لابن غنام ملازمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ست سنوات قبل وفاته وهي مدة كافية ، كقيلة بأن تجعله يرتبط به شعوريا ليتجلى ذلك في مؤلفه التاريخي وقصائده فيه ، والاشادة بمكانته .

٤ - أما قصيدته التي قالها في قدوم الامير سعود الاحسام بعد قتل «تويني» عام ١٢١٢ هـ موهنا للامير سعود ولأبيه عبد العزيز ( تاريخه ٢ : ٢٢٧ - ٢٤٢ هـ ) فهي لا تدل قطعيا بأن ابن غنام كان مقيما في الاحسام ، ولم يرتحل للدرعية ، بل من الأرجح ان يكون قد ارتبط بهذه الأسرة الكريمة قبل هذا التاريخ ، وانه شارك أهالي الاحسام في التعبير عن هذا الشعور لأن «تويني» هذا قد أفضى مضجهم قبل قتله بسنوات كما أبان من ذلك في تاريخه .

٥ - ان أحد تلاميذه في المربية بعد انتقاله للدرعية كما حكاه ابن بشر ( ١٢١٠ - ١٢٩٠ هـ ، ١٧٩٥ - ١٨٧٣ م ) ( عنوان المجلد ١ : ١٤٤ ) محمد بن ناصر بن مضر ( ١٢٢٥ - ١٣٠٠ هـ ) ، وهذا قد بعثه الامام عبد العزيز بن محمد في عام ١٢١١ هـ الى مكة لينظر علماءها في مسائل العقيدة ، فأظهر من البراعة وقوة الحجة ما كان موضع اعجاب علماء مكة .

وهو ان يصل لهذا المستوى الا بعد ان تمكن من اللغة العربية وأنهى دراسته مع شيخه ابن غنام .

ملحظه :

اختلف الباحثون في حياة هذا المؤرخ والاديب عن المذهب الذي ينتمي اليه في الفروع :

١ - قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في الدرر السنية ( ٢ : ٢٤ ) : انه شافعي \*

٢ - وقال محمد بن عبد القادر في تحفة المستفيد ( ٢ : ١٠٤ ) انه مالكي . كما تابعه في هذا القول كل من الشيخ حمد الجاسر ( مجلة العرب ج ١ ص ٥٠ ) ، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف ( من مشاهير علماء نجد وغيرهم ١٨٥ ) والدكتور عبد الميزن القويطر ( عثمان بن بشر منتهى ومصادره ص ٧ ) \*

٣ - وقال اسماعيل باشا في هدية المارفين ( ١ : ٣٢٨ ) انه حنبلي وتابعه في ذلك عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ( ٣ : ٣١٧ ) \*

وعندما نريد ترجيح رأي واحد من هذه الثلاثة نجد اكثرها احتمالاً الرأي الثالث \*

ذلك ان تلاميذه والعلماء المحيطين به ، كلهم على مذهب الامام احمد بن حنبل ، فهو جزء من هذا الكل ، يتعلم ويعلم ويناقش ويسجل في مجتمع لم تتطور فيه الوسائل العلمية ، وتتوفر معلوماتها \* هذا من جهة ، ومن اخرى فان مذهب الاسام احمد سائد في الاحساء قبل انتقال ابن غنام منها ، وهذا في نظري امكن دليل على انه حنبلي المذهب \*

وبالنسبة للرأي الاول لا نميل اليه لسببين :

١ - ان أسرته مالكية المذهب \* حيث نشأ وتعلم في حياته الاولى في الاحساء \*

٢ - ان الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، الذي لازمه ابن غنام في حياته الثانية بالدرعية كان يسير في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله \*

ولذا نستبعد أن يكون شافعيًا لأن اتجاهه العلمي في الاحساء والدرعية لم يهـيـء له ذلك \* أما ترجيح ابن عبد القادر ، والشيخ حمد الجاسر ، وعبد الرحمن ابن عبد اللطيف ، والدكتور عبد الميزن القويطر : انه مالكي فله ما يبرره باعتبار أن مذهب أسرته مالكي ، ومن جهة اخرى فان مذهب الامام مالك سائد في الاحساء \*

ولكن تمذهب أسرته بالمالكية ليس دليلًا قاطعًا بمالكية ابن غنام ، وحكمنا بذلك بواقعنا فيما يسميه المنطقيون : الدور والمصادرة \* ذلك أننا حكمنا بمالكيته

بنام على مالكية أسرته في حين أنه لا يشي أنه مالكي المذهب الا باعتناقه هو لمذهب  
الامام مالك ، سواء عرف عنه ذلك أو ألق فيه دوافع عن الفروع التي ينفرد بها  
الامام مالك .

وهذا لا يسبين الا يشجع آثاره العلمية وأرائه فيها ، ولم نجد من نقل شيئا من  
ذلك عنه ليثبت مالكيته على هذا الأساس .

### تأثيره وتأثيره :

لقد تأثر ابن غنام بأمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فكان  
مرتبطا به روحاً ومعنى ، فسجل حياته وتابع دعوته ، ورصد الوقائع الحربية  
والنزوات لانتشار هذه الدعوى وما جرى فيها من أحداث ، خلال فترة الازدهار في  
الدولة السعودية الاولى بزعامة ثلاثة من أئمتها هم : محمد بن سعود ( ٠٠٠ -  
١١٧٩ هـ ، ٠٠٠ - ١٧٦٥ م ) ، وأبنة عبد العزيز ( ١١٣٧ - ١٢١٨ هـ ، ١٧٢٠ -  
١٨٠٣ م ) ، وعليده سعود بن عبد العزيز بن محمد ( ١١٦٢ - ١٢٢٩ هـ ، ١٧٥٠ -  
١٨١٤ م ) .

ولم نجد في تاريخه ما يدل على أنه عول في النقل على غيره أو استفاد منه .  
وهذه عادة غير مستحسنة فلملح استفاد من غيره ولكنه تجاهل المنقول عنه ، خاصة  
وانه قد عرف قبله بعض المؤرخين ممن وصلت إلينا أخبارهم مثل :

أحمد بن يسام ( ٠٠٠ - ١٠٤٠ هـ ) ، وأحمد المنصور ( ٠٠٠ - ١١٢٥ هـ ) ،  
ومحمد بن ربيعة الموسوي ( ٠٠٠ - ١١٥٨ هـ ) ، وعبدالله بن عسيب ( ٠٠٠ -  
١١٦١ هـ ) ، وإبراهيم بن أحمد بن يوسف ( ١١٤٦ - ١٢٠٦ هـ ) المتوفي في دمشق .

كما يلاحظ المتنبي لتاريخ ابن بشر أنه استقى أغلب معلوماته من ابن غنام .  
وقد بدأ في تاريخه من بداية ابن غنام عام ١١٥٨ هـ ولكنه لا يسيل إليه أيضا .

وهذه عادة سار عليها إبراهيم بن عيسى ( ١٢٧٠ - ١٣٤٣ هـ ) أيضا .

وعلى العموم فإن أغلب الأحداث التاريخية ، كلها كانت وقائعها قريبة العهد  
من ابن غنام . ولا تحب أن تحمله أكثر مما يجب فنقول انه نقل هذه الأحداث من  
غيره ولكنه تجاهله ، بل نقول إن ابن غنام رصد هذه المعلومات من أحداث عصره وما  
هو سائد في مجتمعه .

فكان تاريخه يحدد معلومات قرية العهد ، فهو يبدؤه من عام ١١٥٨ هـ وينتهي الى عام ١٢١٢ هـ - ولا بد أنه تأثر بملام عصره المحيطين به ، إلا أنه لم يستثن لنا شخصيات معينة أخذ عنها العلم ، أو تأثر بها في الاتجاه ، إلا ما رأيته من اقتفاء لأثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ذلك أن تاريخه أوسع مرجع لحياة الامام محمد رحمه الله - أو ما نقله من رسائل ومسائل نسبها لأصحابها .

وقد اعتبره عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ( ٣ : ٣١٧ ) من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب . أما عن تلاميذه الذين أخذوا عنه العربية في الدرعية فإن ابن بشر ( ٢١٠ - ١٢٩٠ هـ ) وهو اقرب المؤرخين لابن خنم ( ٠٠٠ - ١٢٢٥ هـ ) لم يذكر من تلاميذه الذين أخذوا عنه العربية في الدرعية مع أنهم كثيرون إلا : حمد بن ناصر بن معمر ( ٠٠٠ - ١٢٢٥ هـ ) ، وسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ( ١٢٠٠ - ١٢٣٣ هـ ) .

ولكننا نعتبر ابن خنم بتاريخه هذا استاذ جيل : اقتضى اثره عدد كبير أخذوا بمعلوماتهم التاريخية عنه .

وأول تلاميذه في هذا التخصص هو ابن بشر نفسه إذ كان كتاب ابن خنم مصدرا مهما في تاريخ الدولة السعودية الاولى وما واكبها من أحداث - وأن كان قد وقف عند عام ١٢١٢ هـ أيام مزها ومنعتها ، بيد أنه توفي بعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة - كما يعتبر مصدرا مهما لكل كاتب يبحث عن تاريخ نجد والجزيرة العربية في هذه الحقبة أو يتتبع حياة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ومن هذا نقول بأن ابراهيم بن عيسى ( ١٢٧٠ - ١٣٤٣ هـ ) في تاريخه ، وعبدالله فليبي في كتابه : تاريخ نجد ، وغيرهما من الباحثين حديثا في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أو تاريخ الدولة السعودية الاولى قد استفادوا من ابن خنم وحوّلوا في معلوماتهم عليه . وبهذا نعتبره أول راصد لتاريخ نجد وأحداثها لأن من سبقه لا يمتازون بالتتبع الموضوعي للمنطقة كاملة كما هو منهج ابن خنم .

ولئن كان ابن خنم - وهذا هو المأخذ عليه من كل دارس لتاريخه - يعتمد على السجع الممل ، وحشده الكلمات المترادفة التي ترسخ هذا السجع المتكلف ، فإن ذلك لا ينقص من قيمة كتابه كمرجع تاريخي لفترة من الزمن عاصرها وسجل أحداثها - ولعل ابن خنم في سجه هذا وبحكم علاقته باللغة العربية لأنه كان استادا لها في الدرعية ، قد تأثر بالنثر في العصور الوسطى إيمان ركود اللغة العربية ، وركونها الى السجع والاحتفاء بالحنسبات البديعية .



وقد تكون هذه الطريقة مقبولة في عصر المؤلف ولها مریدون ، ولكنها في العصر الحاضر أصبحت طريقة معقولة ومملة ، تذهب بالتأريخ عن الهدف الذي اتجه اليه ، وتبعد عن تتبع الأحداث واتساجها .

### تأريخه :

لقد أخرج الناشر لكتاب ابن خنم في طبعته الاولى عام ١٣٦٨ هـ عبد المحسن أبابطين ( هذا المؤلف في جزأيه تحت اسم تاريخ نجد ، ولم يكن ابن خنم قد قصد هذه التسمية - إذ كانت التسمية الحقيقية للكتاب بادئ ذي بدء : « روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام » ، قصره على حياة الشيخ محمد ورسائله ، وحالة نجد والاحسام وما وقفنا فيه من الشرك وغيره .

ثم أتبعه بكتاب آخر سماه : « الغزوات البيانية والفتوحات الربانية » - تعرض فيه المؤلف لتأريخ الحوادث والغزوات التي واكبت الدعوة الإصلاحية وانتشارها وقيام الدولة السعودية الاولى ، ووقف عند عام ١٢١٢ هـ .

ولعل الناشر عندما أعطاه هذه التسمية : أراد أولاً أن يضفي عليه طابعاً مميزاً ، وأن يضم الكتابين تحت مسمى واحد ، وأن يشمل التسميات المختلفة فهو يقول : « تاريخ نجد - المسمى روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام ، وتعداد غزوات ذوي الاسلام » ، فكلمة تاريخ نجد وحدها تكفي عن هذا الاسم الطويل ، ثم ان كلمة « المسمى » تدل على أن الاسم الاول من اطلاق الناشر .

ولا يغرب عن بالنا أن الباحثين قد أطلقوا تسميات متعددة على هذا المؤلف :

١ - فاسماعيل باشا في هدية العارفين ( ١ : ٣٢٨ ) يقول عن ابن خنم : « صنف التاريخ المجيب سماه ... » ولا يذكر الاسم .

٢ - وابن عبد القادر في تحفة المستفيد ( ٢ : ١٠٤ ) يقول : « روضة الأفكار فيما كان في نجد من الاخبار » .

٣ - وابن قاسم في الدرر السنية ( ٢ : ٢٥ ) يقول : « روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الشيخ حسين بن خنم الاحساوي » .

٤ - والزركلي يقول في الاعلام ( ٢ : ٢٧٤ ) : « روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام ، وتعداد خزوات ذوي الاسلام » .

٥ - وعمر رضا كحالة يقول في معجم المؤلفين ( ٣ : ٣١٧ ) : « تصانيف تاريخ نجد ، المقعد الثمين في شرح احاديث اصول الدين ، روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام ، وتعداد خزوات ذوي الاسلام » . فهنا جعلهما كحالة كتابين وليس كتابا واحدا ولم يقل بذلك غيره .

ومن المؤلف أن نجد ابن بشر يتجاهل ذكر هذا التاريخ في الوقت الذي يسمي لنا من مؤلفاته : « المقعد الثمين في شرح احاديث اصول الدين » .

وفي نظري أنه كناشر قد أحسن صنعا بهذه التسمية فهي تسمية مختصرة تنبئ عن محتوى الكتاب .

وقد يكون الناشر استقاهما مما تعارف عليه الناس ، أو من سمي تاريخ عثمان بن بشر : « عنوان المجد في تاريخ نجد » .

ثم لعل عبدالله فليبي قد استفاد منهما بهذه التسمية عندما سمي مؤلفه من تاريخ الدولة السعودية : « تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية » . وعندما تستعرض كتاب ابن خنم فان القارئ لا يجد كتابا خالصا للتاريخ . بل هو :

١ - استعراض لحالة نجد والاحساء ، وما وقعتا فيه من الشرك وغيره قبل قيام الدعوة الإصلاحية على يد الامامين محمد بن سعود ، ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله .

٢ - بيان التوحيد وما يجب على كل مسلم ، وقد استعرض في ذلك الاحاديث الصحيحة ، وآراء بعض السلف كابن تيمية ، وأوضح الشرك الأصغر كالحلف بغير الله في استعراض مستفيض .

٣ - رسائل وردود للشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره في الدفاع عن الدعوة وتفنيد الآراء التي تمارسها ، وتوضيح مسائل الدين الاسلامي والآراء الصحيحة في القبور ، وقصة الخضر وموسى عليهما السلام .

٤ - حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. ووفاته وبعض ما قيل في رثائه  
من أشعار \*

٥ - استعراض الوقائع والعمومات من عام ١١٦١ هـ - عام ١٢١٢ هـ ، كما ذكر  
السيد لدي حمله على ذلك ، وذكر بعض الحوادث لثلاثة أعوام سبقت هذا التاريخ  
من عام ١١٥٨ هـ \*

٦ - يتناول موضوعاته بعض القصائد التي قالها حسب المساسات ، ويورد  
أبياتاً شعرية يسوقها كشواهد لما يتكلم عنه \*

وهذه الطريقة التي سار عليها ابن غنام تختلف عن طريقة ابن بشر الذي قصر  
مؤلفه على الساحة التاريخية فقط \*

وهذا ما سار عليه ابن عيسى فيما بعد وغيره \*

ولا ملاحظة على ابن غنام في طريقته هذه ، ذلك أن أسبقية في التأليف ..  
وحماسة الدين ، وثقافته العربية \*

هذه المسبات جعلت جواسها المتعلقة تؤثر في نفسه ، فيسجل أحاسيسه عنها  
في مؤلفه الذي قصد أن يكون تاريخياً \*

ثم إن المتنوع لابن غنام لا ينحصر في ذلك ، فقد درج بعض الأولين نفسه على  
هذه الطريقة ، إذ كانت كتب التراث والتاريخ تغطي بكثير من ذلك \*

أما عن طمحات هذا الكتاب ومخططاته فقد تكمل كل من الشيخ حمد الجاسر  
في مجلة العرب ( ج ٩ ص ٥٠ ) ، وعبد الرحمن بن عبد لطيف في كتابه من مشاهير  
عبد بعد وغيرهم ( ١٨٥ - ٢٠٦ ) ما يصاح الطمحات وما فيها من ريدات  
أو نقص \*

### ابن غنام أدبياً :

شهر ابن غنام ابن التمتع الفكري في نجد والاحياء ، وشوهد لعصر الذهبي  
للادب والعصر ، فهناك تلمحه العميق وسويعه المكوي الى تنوع مكانة عالية ألا وهي  
تدريس اللغة العربية بحجرة علماء الدرعية واكبرها ، فكانت له اليد الطولى كما  
قال ابن بشر \* ويتمثل التراث الأدبي الذي تركه ابن غنام بشراً وشعراً في

أسلوبه المسجوع في مؤلفاته وخاصة الكتاب الذي نحن بصدده . وحرصه على لتعمق في المعاني اللفظية والعرض على الكلمات التي تتلاءم مع سجيته مدلا بذلك على مستواه في هذا الجانب .

ومع أننا لم نجد له شرا فيها مستقلا يمكن دراسته ، وبين أن مؤلفه الادبية على صوته . . . إلا أن الدكتور محمد المشايخ في كتابه النشر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ - ١٩٤٥ م [ ٢١ - ٢٣ ] عندما قال : من كتب التاريخ من أهم المؤلفات التي يمكن لدارس النشر الأدبي أن يجد فيها من الموضوع ما يدل على مستوى الأسلوب الكتابي في هذه الحقبة ، ذلك لأن هذه المؤلفات كانت تحرر حيث بأسلوب يشبه الأسلوب الأدبي من حيث استخدام السجع وإطلاق العنان أحيانا لسبجات الخيال والمواقف الذاتية .

ثم قوله بعد أن استعرض «مودجا» نشره في سرد الوقائع التاريخية ووصفها ومن الواضح أن ابن هشام لم يكتبها بتسجيل الأحداث التاريخية ، بل أراد أن يصور الحواظر النفسية والصراع الإنساني . وإذا أباح لنفسه كذلك أن يصور حوادث التاريخ تصويرا ذاتيا ، وأن يضيف إليها ما رأى أن من الممكن أن يقع حدوثه ، فقد جاء أسلوبه التاريخي شبيها بالأسلوب الملحمي ، وفي الحقيقة أن القارئ يكاد يسي ما لمعادنة من قصة تاريخية ، ويصير ابن هشام فيها من متعة قصصية ، وقيمة أدبية ، رغم ما لزمه الكاتب من سجع عان سلاسة الرواية ، وقلل من حيويتها ، إلا أن أسلوبه قد تجرد بالوصوح ، واتسم بالقدرة على تصوير المواقف المتأزمة ، والصراع النفسي .

فقد كان يقصد في نظري بيان سرلة ابن هشام الشرية ، وأن منهجه التاريخي ما هو إلا سموك سهجي في الأدب برر في طريقة متميزة مع ثقافة عربية واسعة وتصوير بديع للمواقف المتأزمة بمعارات تعطي مدلولاً خاصاً .

والدكتور بكرى شيع أمين في كتابه الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية عندما استعرض في الفصل الثاني المؤلفات التاريخية - الأدبية ( ٦٠٩ - ٦٤٠ ) تكلم حرصاً من ابن هشام كواحد من هؤلاء المؤرخين في عبادة محممة لا تسي عن رأي خاص فيه . أما لشعر ابن هشام قد أودع كتابه التاريخي بعضاً منه . كما عرف به أشعار أخرى مثائرة يقوؤها في مناسبات مختلفة . وهي وإن كانت لم تستوحيب في ديوان خاص به ، فإنه جدير بالدراسة والجمع .

وأبرز ما يظهر للقارئ في شعر ابن هشام

١ - سعة الخيال ، والعمق في الالفاظ والمعاني .

٢ - اختيار المناسبات والمشاركة فيها .

٣ - الوصف التصويري كما يتضح ذلك في قصيدته الهائية ( ٢ : ٧١ من تاريخه ) ، بحيث يتجلى التعبير الملحمي عندما يصف الجيوش والوقائع النازلة على الاعداء في تصوير مثير من الحقيقة .

٤ - شعوره الديني يغلب أحيانا على خياله الشعاري فتراء لا يتوسع في خياله التصويري لأن حاجته الديني وشعوره الوجداني تحركا في نفسه فأنجذب اليهما .

٥ - طویل النفس مما يدل على شاعرية متمكنة ، وخیال خصب ، وثروة لغوية ، كما يترامى ذلك للقارئ من قصيدته الرائية في تهنة الأمير سمود ، والامام عبد العزيز رحمهما الله بعد قتل تويني ، وهذه القصيدة تبلغ مائة وثمانية عشر بيتا ( تاريخ ٢ : ٢٣٧ - ٢٤٢ ) .

٦ - يودع كثيرا من اشعاره معلومات تاريخية ودينية من باب الاستشهاد والمقارنة .

وعلى العموم فإن ابن هنام في شعره أمكن وأجزل منه في نثره ، ولذا يبرز في نثره خيال الشاعر وأحاسيسه حينما يخاطب فئة معينة من الناس .

سليمان بن ورجماء :

وعندما أخذت هذا الكتاب نموذجا لكتب التراث لدينا فانتقي لم أخذه :

١ - لندرته ، فهو كتاب مطبوع « قد طبع مرتين » .

٢ - ولم تأخذه لأسلوبه التاريخي ، واستقصائه للمعلومات ، فهو يسلك طريق السجع الملل أحيانا ، ولم يستقص تاريخ نجد سواء منها الأحداث التي سبقته ، وسبقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقيام الدولة السعودية الأولى ، بل لم يحفظ بأخبار نجد والجزيرة العربية في عصره .

ولكنني اخترته هنا ككتاب من كتب التراث العربي لنجد والجزيرة العربية  
للاسباب التالية :

١ - انه يعتبر أهم مصدر يستند اليه الباحثون وفي مقدمتهم ابن بشر كمرجع  
للقائع التي حدثت وصاحبت قيام الدعوة الإصلاحية على يد الامامين محمد بن  
سعود ، ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله .

٢ - انه من أهم المراجع التي أنارت الطريق للباحثين حديثا في حياة الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب باعتبار المؤلف واحدا من تلاميذه .

٣ - ان ابن خنم بمؤلفه هذا يعتبر أول من فتح باب التأليف التاريخي في  
نجد ، وبهذا بذلك عهدا مضيئا انتشع من ظلمة دامت قرابة ستة قرون .

ولذا فانه مهما حصل فيه من أخطاء ، ومهما أخذ عليه بعض الدارسين  
والباحثين من مأخذ فائتي اعتبرها حسنات . ذلك ان الفضل دائما للسابق وان من  
يأتي بعده مسترشد برأيه ، ومجمل لما وقع فيه غيره من أخطاء علمية أو فنية أو  
شكلية . ولذا صح لنا ان نعيد الريادة التاريخية في نجد في شخص معين فان ابن خنم  
فيما وصل اليه علمي هو الرائد للتأليف التاريخي رغم انه لم يقتصر كتابه على  
التاريخ . وان كان ابن بشر قد استفاد منه وتوسع فيما سار فيه من منهج وتحاشى  
ما وقع فيه ابن خنم من سجع ، فان لابن بشر فضل التوسع التاريخي والتخصص  
الموضوعي . وعلى العموم فان المدونات التاريخية التي سبقت ابن خنم ما هي الا  
نبد تاريخية محدودة الوقائع والحوادث ، ولم يكن ابن خنم بأحسن حظ منهم ، ولكنه  
أشمل ، وأكثر مادة .

وان الباحث المتتبع لن يجد أن يجد معلومات متناثرة ستكشف عنها الايام ،  
وتتمثل في نظري هذه النبد في :

١ - وثائق مبايعات وأملاك متداولة كما هي العادة المتبعة في نجد في الماضي  
القريب والبعيد ، يقرن بعض المعلومات من الاملاك المتداولة وربطها بحوادث  
زمنية ، أو وقائع تاريخية لها شهرة في البيئة المحلية .

٢ - معلومات من أقدمية المدن والقرى وبساتها وأول من سكنها كارتباط بعض  
أمر معينة وانتقال بعض القبائل من مكان لآخر ، خاصة وأن مراعي نجد كانت موطن  
نزاع بين القبائل .

٣ - مخطوطات عند بعض الافراد أو في مكتبات العالم لم يملك النشأ عنها ، أو نسخ أخرى من مخطوطات معروفة ، إلا أنها تمتاز بالشمول والتوسع والتعديلات حيث أخبرني أحد الاخوة الكرام بأنه يملك مخطوطة عن تاريخ ابن عيسى تفوق في محتواها ما نشره الشيخ حمد الجاسر .

٤ - صحيح أن نجد لم تستلقت نظر المستشرقين والباحثين إلا بعدد قليل من الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته الإصلاحية تؤازره الأسرة السعودية ، لكننا مع ذلك لا نعدم الأمل في استكشاف معلومات تاريخية رسدها بعض الرحالة ، أو الرحابيين في جمع المعلومات من الحجاج أو الرحالين .

٥ - لن يخرب من بال علماء الحرمين ومؤرخيهما عند رسدهم التاريخي الإشارة إلى نجد في المعلومات التي يدوتونها ، ذلك أن نجد ذات علاقة وطيدة بالحرمين لقرب المسافة ، واتحاد الإدارة فقد كانت العلاقة الإدارية وهي أمثـن الروابط وأقواها متصلة من قديم الزمان .

ولذا فأنني أعوِّض أن الباحث لن يعدم وجود معلومات متناثرة وقوية ، من فترة كنا نظنها مفقودة وهي ما بين القرن الخامس إلى الحادي عشر ، وكان ذلك في نظري المكتبات الخاصة ، ومكتبات الهند ، وتركيا وأوروبا والغرب العربي ، ولن تند معلومات تأتي عرضاً في تاريخ اليمن .

ولعل في جهود دارة الملك عبد العزيز المتمثلة في مساعي معالي الشيخ حسن ابن عبد الله ما يمدد الأمل ويبيح العماس ، بتكوين هيئة خاصة ترعى هذا التراث وتلم شتاته ، وتعمل على تجسيده من مظانه ، وتخرجه في جهود مثمرة ، على هيئة تاريخ عام ومتكامل للبلاد ، متسلسل الوقائع والاحداث ، ويستقي معلوماته ومادته من المصادر العالية المبهمة ، والمتنطرة ولو كانت نثراً متناثرة . فهي بتجميعها وتنسيقها وصياغتها في أماكنها وسنواها المتسلسلة تعطي عملاً متكاملًا . وما يحبي تراث أي أمة غير إبنائها ، فهم أقدر على استقصاء المعلومات وربطها بأماكنها .

فالجهد الفردي لا تستطيع تغطية ذلك وجهه .

الدكتور محمد الشويهر

الرياض في ١٢٩٨/١/٢٢ هـ

## المصادر والهوامش

- (١) الإعلام - في الدين الزركلي - الطبعة الثانية - بيروت - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ •
- (٢) تاريخ بعض العوائد في نجد - تأليف إبراهيم بن عيسى وتقديم الشيخ حمد الحامر • منشورات دار اليمامة للطباعة والنشر والترجمة •
- (٣) تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية - عبدالله فليبي • والكتبة الأهلية ببيروت •
- (٤) تاريخ نجد - المسمى روضة الأفكار والأفهام فترات حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام للشيخ حسين بن غنام - الناشر عبد المصنن أياضين • الطبعة الاولى ١٩٦٨ هـ - ١٩٤٩ • شركة مكتبة ومطبعة مصطفى العلمي بالقاهرة •
- (٥) تاريخ نجد ، للشيخ حسين بن غنام ، حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الاسد ، قابلته على الأصل الشيخ عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم - الطبعة الاولى •
- (٦) لعة المستفيد بتاريخ الاصماء القديم والجديد - محمد بن عبدالله بن عبد القادر • الطبعة الاولى •
- (٧) الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية - الدكتور يكري شيخ أمين •
- (٨) القدر السنية في الاجوبة التجديدية - عبد الرحمن بن قاسم ، ج ١٢ • الطبعة الاولى - مؤسسة النور للطباعة ، ١٣٩٢ هـ •
- (٩) عثمان بن بشر ، منهجه ومصادره - الدكتور عبد العزيز الفويطر • الطبعة الثانية ، مطابع اليمامة في الرياض •
- (١٠) عقد الدر - ابراهيم بن عيسى • ( المطابع الاملية الوطنية بالرياض ) •
- (١١) عنوان الجاد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر •
- (١٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم - عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ • الطبعة الثانية - الرياض •
- (١٣) مجلة العرب - تصدر من دار اليمامة - الشيخ حمد الحامر ، مجلد ٥ ، ج ٩ ، ١٠ ، ١١ •
- (١٤) معجم المؤلفين - عمر رشدا كماله - مطبعة التراثي - دمشق ، ١٣٣٦ هـ / ١٩٥٧ •
- (١٥) النشر الفني في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ - ١٩٥٥ م - الدكتور مصطفى عبد الرحمن الشاميخ - الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ •
- (١٦) هدية العارفين - اسماعيل باشا البغدادي - استانبول ، ١٩٥١ •